المشرق

رحلة أثرية الى الأقصر وأسوان

لحضرة المنوري لويس ملحة كاهن الموارنة في الاسكندرية

لم تضنّ علينا الأيام برحلة الى ارض قد طالما تاقت اليها النفس وطمح اليها البصر نريد بها مصر العليا حيث جعل الفراعنة حواضرهم في تلك العهود السالفة فشيّدوا ما شيّدوا من شواهق الهياكل وشوامخ المعابد ما لا يزال ينطق بما كانوا عليه من السيطرة والصولة والاقدام على العظائم. وقد رأينا ان نذكر لكرام قرّاء المشرق الاغرّ تفاصيل رحلتنا هذه لعلّهم يجدون فيها ما يفكّه الالباب ويسرّ الخواطر فنقول :

١ بين القاهرة والاقصر

برحنا الاسكندريّة في ١١ كانون الثاني ١٩١٠ قاصدين القاهرة ومنها ركبنا القطار الفاخر عند الساعة السادسة والثلاثين من مساء اليوم التالي فانطلق بنا ينهب الارض نهباً وما كاد يقطع مسافة الّا وحان ميعاد طعام العشاء. فقصدنا قاعة الاكل المعدّة في باطن القطار حيث جلسنا على المائدة مع عدد غفير من السيّاح فشرعنا ننظر تارةً ذات اليمين وطوراً ذات الشمال مصغين الى ما يتحدّث به هؤلاء السيّاح على امل ان نجد فيما بينهم من يتكلّم بالافرنسيّة فنبادله الكلام فخاب الامل اذ قد ظهر بان السواد الاعظم من ركّاب ذلك القطار انما كانوا من الامريكان والانكليز ودأبهم في فصل الشتاء ان يؤمّوا القطر المصري لزيارة آثاره

وما انتهينا من تناول الطعام حتى شعرنا بنفحة من البرد فعمدنا الى الفراش في

قطارنا حيث رقدنا رقدة من لم تكتحل عينه بغير السهاد . ولمّا كاد يتمزّق ستر الليل هببنا من النوم واشرفنا من نافذة القطار فرأيناه يخترق مروجاً نضرة كبُسط المخمل الناعم ذات اللون الزمردي الآخذ بمجامع العيون واوساطها مرصعة باشجار النخل الباسقة وهي تختال وتميس باغصانها التي تناطح السحاب

وما فتئ ان لاح لنا من فوق قمة جبل بعيد اشعّة لازوردية اندهشت لها الابصار . ونحن كذلك واذا بالغزالة بزغت من بين تلك الاشعّة البديعة الالوان مصوّبة سهامها الينا والى تلك البقاع النضرة فانجلت عن محاسن فتّانة رائعة وبقينا على هذه الحال الى ان بلغ القطار محطة الاقصر نحو الساعة التاسعة صباحاً فانحدرنا منهُ وقصدنا احد الفنادق وبعد ان استرحنا قليلاً من السفر عمدنا الى دليل فذهبنا معهُ الى هيكل الاقصر

٣ الاقصر وهيكلها

دُعيت الاقصر بهذا الاسم لفخامة ابنيتها الجديرة بمنازل الملوك وهي اليوم بلدة يناهز عدد سكّانها الأحد عشر الفاً منهم الفان وستمائة من الاقباط والاجانب والبقيّة مُسلمون وهي تابعة لمديريّة قنا . وشهرتها بهيكلها العظيم احدى عجائب مصر

وهذا الهيكل قد شرع الفراعنة بتشييده في عهد الدولة الثالثة عشرة فوق انقاض معبد قديم كان مخصصاً للاله امون وزوجته الالهة موت ولابنهما خنسو ثم اخذ فراعنة السلالات التالية يضيفون اليهِ بعض الابنية والزخارف والنقوش حتى بلغ ما بلغ من رحب الارجاء وجلال المباني . وللهيكل المذكور اربعة مداخل هي من الفخامة بمكان بنى الاوّل منها رعمسيس الثاني الطائر الشهرة (اطلب وصفهُ في المشرق ٧ : ٥٥٠ و ٨ : ١٤٥) . ولمّا وصل الاسكندر بتزاوته الى تلك الجهات اقام ايضاً في الهيكل المشار اليهِ مقدساً يُرى على جدرانهِ رسم ذلك الغازي ماثلاً امام الاله امون ويُعدّ هذا الهيكل من ابهى الهياكل التي عُني بتشييدها فراعنة مصر ثم عدنا الى المنزل فتناولنا طعام الغداء واذ حانت الساعة الواحدة بعد الظهر ركبنا حمير مصر الفارهة وتوجهنا الى زيارة هياكل الكرنك

٣ هياكل الكرنك

ادركنا هذه الهياكل وهي لا تبعد عن الاقصر اكثر من نصف ساعة وما كدنا نطوف في اخربتها الّا واخذ منّا العجب مأخذهُ اذ رأينا هناك احسن ما ابتدعته العقول البشريّة من فنون الهندسة وعجائب البناء وما اصطنعتهُ الايدي من النقوش والالوان والكتابات ونحتتهُ الانامل من التماثيل والمسلّات والانصاب وما بلغت بهِ قدرة هؤلاء القراعنة وهم اليوم سكّان القبور من قطع تلك الحجارة المتناهية في الضخامة والثقل ومن نقلها وهندستها ورفع تلك الاعمدة الشاهقة باحكام واتقان

الّا ان اجمل تلك الهياكل وافخمها انّما هو هيكل الاله امّون الراقي تاريخهُ الى اوائل الدولة الثانية عشرة نحو سنة ٢٤٦٦ قبل المسيح لكنه لم يبلغ ما بلغ من العظمة والرونق الّا بعد ان مرَّ عليهِ ازمان وحقب كما سترى

فان عمنوفيس الاوّل قد شيَّد هذا المعبد الاصلي مقدساً اخفى عليهِ الزمان ثم قام تحوتمس الاوّل وجعل ثيبة عاصمة الملك فلم يرَ ذلك المقدس اهلاً بعظمة الاله فعُني بانشاء باحة فسيحة الارجاء تنتهي الى مدخل مهيب من الجهة الغربيّة ثم الحقهُ فيما بعد بمدخل ثانٍ من الجهة الشرقيّة وسوَّرهُ بسور حصين نصب امامهُ مسلّتين واحدث بين هذين المدخلين رواقاً جميلاً

ثم جاءت الملكة حتشبست وابقت امام المعبد القائم داخل باحة تحوتمس الاوّل الآنفة الذكر مقدساً خصوصيًّا ونصبت في الرواق المشار اليهِ مسلّتين جميلتين يبلغ ارتفاع كل منهما ثلاثين متراً وعلى راس كل واحدة اكليل من ذهب هرمي الشكل. ثم انجز تحوتمس الثالث يوم استقل بالملك ما كانت قد شرعت بهِ اختهُ حتشبست ولم يقف عند هذا الحدّ بل عمد الى دكّ اركان قسم كبير من اعمدة باحة تحوتمس الاوّل واقام مكانها سلسلة معابد صغيرة وما زال هذا الفرعون يحدث التحسينات الى ان اصبح البناء من اجمل الهياكل المصريّة. (اطلب وصفهُ وصورة مدخلهِ في المشرق ٧: ٥٥١—٥٥٣)

امّا قراعنة السلالة التاسعة عشرة فقد اضافوا الى هذا الهيكل من جميل الابنية وفخيمها ما جعلهُ اشمخ هياكل تلك الاعصار واشهرها نخصّ منهم رعمسيس الاوّل

الذي بنى لهُ ايضاً مدخلاً غاية في المتانة والجمال وسيتي الاوَّل ورعمسيس الثاني اللذين شيَّدا بين هذا المدخل ومدخل عمينوفيس الثالث تلك الصاعة الغريبة المعروفة بصاعة الاعمدة وقد استنفدا وسعهما بجعلها عجيبة العجائب ثم احاط فيما بعد رعمسيس الثاني هذه الصاعة بسور آخر ليس باقل خطورة من غيره

ولمَّا قبض الملوك الليبيون زمام الاحكام جعلوا يحذون حذو من تقدَّمهم من الفراعنة في اقامة الاروقة ورفع الاعمدة وما اشبه فان شيشناق (١ قد احدث امام مدخل رعمسيس الاوَّل ساحة رحبة وطوَّقها باروقة من جهتي الشمال والجنوب بحيث اكتنفت قسماً من معبد رعمسيس الثالث. ثم جاء بعده تاهارقه (٢ احد ملوك السلالة الخامسة والعشرين واقام في الساحة نفسها بناء جميلاً على شكل خيمة يستند الى عدَّة اعمدة متينة

امَّا البطالسة اليونان خلفاء الفراعنة فانَّهم احدثوا في هذا الهيكل بعض تغييرات وختموه بمدخل فخيم. وقد بيَّن حضرة الاب ميشال جوليان في مقالته النفيسة عن الآثار النصرانية في هياكل مصر القديمة (المشرق ٤: ٣٤٢) كيف اتَّخذ النصارى هياكل الاقصر لعبادتهم فخصُّوها بالاله الحقّ. ثم اخذت اعمدة هذا البناء الشامخ وانصابه ومسلَّاته وما شاكلها تتداعى الى السقوط بتوالي الازمان بيد ان مصلحة الآثار المصرية قد تلافت ذلك ولا تزال تشتغل بهمَّة لا تعرف الملل بترميم انقاض هذا الهيكل الفخيم لتصونهُ من انياب الادهار وطوارق الحدثان

هذا ما اردت الالمام بهِ في هذه العجالة من تاريخ اشهر هياكل الكرنك وما هو الَّا قطرة من سحاب في جانب ما ذكرهُ الاثريُّون والمؤرخون من الاوصاف المتسعة النطاق في بطون مؤلفاتهم ومطاوي اسفارهم

٤ قبور الفراعنة في بيبان الملوك (٣

نهضنا صباح اليوم التالي وبعد تلاوة الصلوة سرنا مع دليلنا الى النيل فعبرنا على

١) قد عرَّف الكتاب العزيز هذا الملك باسم شيشاق وهو الذي حمل على رحبعام ملك يهوذا كما ورد في سفر اخبار الايَّام الثاني (ف ١٢)

٢) وهو المعروف في الاسفار المقدسة بترهاقه ملك كوش (الملوك الرابع ١٩: ٩) ونبوَّة اشيا (٣٧: ٩)

٣) اطلب مقالة الاب مالون في المشرق (٨: ١٤٧-١٤٩)

زورق الى الضفة الغربية وهناك امتطينا المراكيب فسارت بنا سيرًا حثيثًا وكنا أبان السير نرى امامنا جبلًا اقرع اصلع فسألنا دليلنا عن اسمه فقال لنا انهُ الجبل الذي في سفحهِ نُقرت قبور الملوك فما زلنا نتابع السير الى ان بلغنا الى هيكل سيتي الاوَّل في قرنة فزرناهُ وشاهدنا فيهِ ما يقرب من هياكل الكرنك والاقصر من حيث الشكل والاعمدة والتماثيل والنقوش وما اشبه وقد شوَّه الغُزاة الفاتحون لمصر محاسن هذه النقوش عند حاولهم في تلك المحال السحيقة

ثم خرجنا من الهيكل ومشينا الى اليمين ثم الى الشمال وسرنا قاصدين قبور الملوك ولم يكن الَّا برهة حتى ولجنا واديًا قفرًا بين جبلين لا تسمع فيهِ الَّا دندنة الزنابير وخشخشة الحفافيش وعلى كتفيهِ صخور جرداء صهرت سطوحها اشعَّة الشمس المحرقة وتلوح على محيَّا ذلك الوادي ملامح الكآبة والوحشة اذ لا ترى هناك الَّا قليلًا من الشجيرات والانبتة الخشنة حتى انهُ يخال لك لاوَّل وهلة ان طيف الموت يظلِّل تلك الامكنة ويتهدَّدها فيُذعر لمنظرها الناظر

وبعد ان قطعنا هذا الوادي القفر بلغنا قبور الملوك التي هي عبارة عن سراديب متسعة منقورة في قلب الجبال وهي عديدة الَّا ان اخطرها سبعة مدافن دُفن فيها رعمسيس الاوَّل والثالث والسادس والتاسع ومنفتاح وسيتي الاوَّل وعمينوفيس الثاني

وقد اثارت مصلحة الآثار هذه المدافن من الداخل بمصابيح كهربائيَّة جعلتها آية في الحسن والبهاء ولو حاولنا ان نتكلَّم عن كل منها وعمَّا فيها من النقوش والكتابات والمقاصير والاروقة والردهات والرسوم والرموز لطال بنا المجال واقتضى الامر مقالات ضافية الاذيال وانما نقصر كلامنا على مدفن امينوفيس الثاني وهو ابدع تلك الآثار السبعة فنقول:

عثر على هذا المدفن الاثريُّ الشهير ڤيكتور لوره في سنة ١٨٩٨ ويُنحدر اليهِ على درج ذي مسالك وعر ينتهي الى بئر فوقها ممرٌّ من خشب اذا اجتزتهُ باتت مقصورة تؤدّي بك الى صاعة لا نقوش فيها ولا كتابات ثم تجد سلَّمًا في الزاوية الشماليَّة يفضي بالنازل منهُ الى رواق ذي تربة زلجة ثم الى قاعة تستند الى ست ركائز وفي وسطها حفرة عميقة وعلى الركائز الست رسم عمينوفيس الثاني ماثلًا امام آلهة الجحيم وعلى الجدران آيات ورموز من كتاب المصريين المعروف بكتاب الامونات واذا ما رفعتَ

نظرك الى السقف رأيتهُ مزدانًا بلون سنجوني موشًى بنجوم صفراء تفتن الابصار

اما الحفرة فتحوي التابوس الملكي وهو من الحجر المانع المحبَّب الاحمر (الغرانيت) تحيط به المصابيح الكهربائيَّة برونق يلقي في القلب اشد التأثير وترى في قاب التابوس جثة عمينوفيس الثاني مضجعاً تحفُّ به مهابة الموت وحولهُ طاقات من من الازهار وعلى الجثَّة لفائف وعصابات من نسيج الكتَّان الابيض . وعلى اجنحة هذه الغرفة اربع غرف ايضاً اثنتان من الجهة اليمنى واثنتان من الجهة اليسرى اما الغرفتان الاوليان ففي احداهما ثلاث جثث محنَّطة لم يتعرَّفوا حتى الآن اسماء اصحابها . اما الثانية فلم يُبَح بدخولها بعد وهي تتضمَّن كما سبق تسع جثث ملوكيَّة وضعت هناك صوناً لحرمتها من انتهاك اللصوص ومن هذه الجثث جثَّة تحوتمس الرابع وعمينوفيس الثالث من فراعنة السلالة الثامنة عشرة وسيتاح وسيتي الثاني من السلالة التاسعة عشرة

وبعد ان انتهينا من زيارة هذه القبور الجليلة تركنا مدافن الملوك واخذنا بالتصعيد في الجبل من الجهة اليمنى نريد الدير البحري وما كدنا ندرك قمتهُ حتى تنفسنا الصعداء لانَّ روحنا كانت قد بانت التراقي من شدَّة ما نالنا من التعب في تلك السراديب ثم سرَّحنا رائد الطَّرف فرأينا في سفح ذلك الجبل اخربة الدير البحري واطلاله ثم مرجاً خصباً يروق النظر توشيهِ اشجار النخل المحلقة رؤوسها في الفضاء وفيه ينساب النيل كانسياب الحياة في السهول والحزون وما كانت الَّا هنيهة حتى اخذنا بالانحدار الى الدير البحري وجعلنا نتفقد آثارهُ الجليلة

٥ هيكل الدير البحري (١)

شيدت هذا الهيكل على افخر طرز الملكة هتشبست اخت تحوتمس الثالث وزوجته وشريكته في الملك وزانتهُ بالنقوش والرسوم والزخارف والتماثيل والكتابات فجاء من افخم ما ابتناه الفراعنة من الهياكل والمعابد في تلك الاعصار الشامخة . على ان المدَّة التي ملكت فيها هتشبست هذه كانت قصيرة لان تحوتمس قرينها قد اقرها عن العرش لنزاع وقع بينهُ وبينها وما عتَّم ان امر بطمس صورة وجهها وعزا الى نفسهِ

(١) اطلب المشرق (٨ : ١٤٩) .

ما نقشتهُ من الكتابات والرسوم على جدران الهيكل المشار اليهِ . ثم طرأ على هذا الهيكل ما طرأ على غيره من التغيرات والتقلبات في ايام الفراعنة الذين رقوا فيما بعد منصَّة الملك

ولمَّا انتشرت النصرانية في تلك الاصقاع قطن ذلك الهيكل طائفة من الرهبان بعد ان ازالوا ما فيهِ من الرسوم الوثنيَّة والاصنام ومنذ ذاك التاريخ عُرف باسم الدير البحري لحلول الرهبان فيهِ ولوقوعهِ بجوار النيل . ولمَّا انتهينا من زيارة هذا المعبد الجميل تناولنا هناك طعام الظهر ثم برحناه قاصدين هيكل رعمسيس الثاني

٦ هيكل رعمسيس الثاني

ادركنا هذا الهيكل الذي لا يبعد عن الدير البحري الأثرية حجر وهو المعروف منذ شمپليون باسم رعمسيس (Ramesseum) فولجناهُ واخذنا نتفقد ما فيهِ من البقايا والاعمدة والتماثيل الماثلة (اطلب المشرق ٨ : ١٤٩) ولا منددوحة لنا عن ذكر شيء من تاريخ هذا الهيكل العظيم فنقول :

لقد بنى هذا الهيكل رعمسيس الثاني الفاتح الشهير وافرغ كنانة جهده ليجعلهُ على شكل يفتن الابصار وخصصهُ للاله امون الذي كان متعبِّدًا لهُ الَّا انَّ ايدي الزمان قد عبثت بهِ واخنت عليهِ فافقدتنا افخر محاسنه ولم تُبقِ لنا الَّا قسماً منهُ

وفي الهيكل المذكور تمثال هائل لهذا الفرعون وهو من الحجر الظرَّاني السَّاقي الَّا انهُ قد اصبح اليوم متفتتاً وترى اسم رعمسيس مرسومًا على ذراعي هذا التمثال وعلى قاعدته بالقلم الهيروغليفي . امَّا طولهُ فيبلغ سبعة عشر مترًا ونصف المتر على ما قالهُ رجال البعثة الافرنسية الذين تفقدوا آثار هذا الهيكل سنة ١٨٩٩ وقد قاسوا اعضاء التمثال المشار اليهِ فكان على ما يأتي :

	متر	سنتي
طول الاذن	١	٠٥
مسافة سطح الوجه من احدى الاذنين الى الثانية	٢	٠٨
مدى الصدر من احدى الكتفين الى الثانية	٧	١١
مدى سطح الكتفين من الواحدة الى الاخرى	٦	٨٤
قطر الذراع بين المرفق والكتف	١	٤٦
طول السبابة	١	

	متر	سنتي
طول ظفر الاصبع الوسطى	—	١٩
عرض القدم من المنحنر الى الابهام	—	٤١

اما وزنهُ فقد قدَّروهُ بعشرين الف قنطار وهذا يبيّن صحَّة ما رواهُ عبد اللطيف البغدادي في كتابه الافادة والاعتبار عن بعض التماثيل التي رآها في مصر اذ قال:

« واما الاصنام وكثرة عددها وعظم صورها فامرٌ يفوق الوصف ويتجاوز التقدير . واما اتقان اشكالها واحكام هياكلها الطبيَّة فموضوع التعجب بالحقيقة . فمن ذلك صنم ذرعناه سوى اعدته فكان نيفاً وثلاثين ذراعاً وكان مداه من الجهة اليمنى الى اليسار نحو عشرة اذرع ومن جهة الخلف الى الامام على تلك النسبة وهو حجر واحد من الصوَّان الاحمر . والعجب كلّ العجب كيف حُفظ فيهِ مع عظمهِ النظام الطبيعي والتناسب الحقيقي . . . ولقد شاهدت كبيراً منها وقد نُحت من ضلعهِ رجلي قطرها ذراعان ولم يظهر في صورته كبير تشويه ولا تغيير بيّن »

٧ هياكل مدينة هبو

هياكل هبو على بعد اكثر من غلوة من هيكل رعمسيس وهبو مدينة صغيرة بناها المسيحيُّون هناك في القرن الخامس للمسيح حول تلك المباني الشريفة ولا تزال آثارها واطلالها الى يومنا هذا (اطلب مقالة الاب مالون في المشرق ٨: ١٥٠)

اما تاريخ اقدم تلك المعابد فيرتقي الى ايَّام الدولة الثامنة عشرة ثم جاء رعمسيس الثالث فاقام هناك معبداً كبيراً وزانهُ بضروب التهاويل التي تفتن العقول وتدهش الابصار وترى في باحة هذه الهياكل برجاً شاهقاً يحاكي الابراج التي كان العرب يقيمونها في قلاعهم وحصونهم ولمَّا شاعت الديانة المسيحيَّة في تلك الامصار حوَّل المسيحيون بعض الهياكل الى كنائس كما يتبيَّن من آثار الصلبان المنقوشة على الابواب (اطلب مقالة الاب جوليان السابق ذكرها في المشرق ٤: ٣٤٦) . وقد مكثنا هناك نحو ساعة من الزمان ثم زايلنا تلك الاطلال وقصدنا مقام تمثالي ممنون

٨ تمثالا ممنون (المشرق ٨: ١٥٠-١٥١)

لا يتجاوز بُعد هذين التمثالين عن مدينة هبو مسافة عشر دقائق ويراهما الطائف في تلك الجهات كيفما جال وهما من الحجر الصوَّان الضارب الى الصفرة يمثلان عمنوفيس الثالث جالساً على سرير مربَّع الشكل ويبلغ طول الواحد منهما خمسة عشر متراً ونيفاً

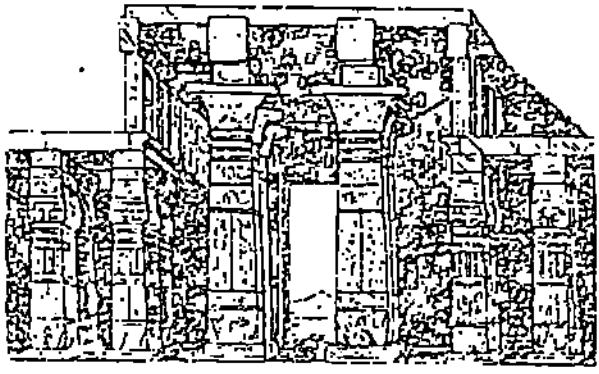

رسم

الردهة الكبرى ذات العواميد
في هيكل كرنك

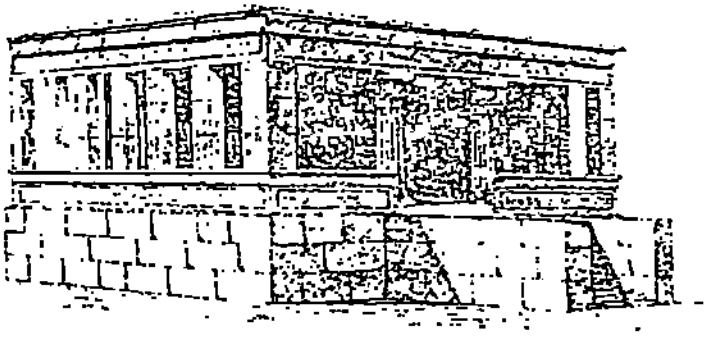

منظر

الهيكل الصغير في جزيرة اليفنتين

ما عدا القاعدة وطولها نحو اربعة امتار وكان على رأسه تاج سقط من زمن مديد وقد كان طوله لا يقلّ عن المتر ونيف كما قيل وهكذا يبلغ كل واحد من التمثالين المذكورين نحو ٢١ مترًا

ومن غريب ما رواهُ القدماء عن احد هذين التمثالين انهُ عند طلوع الفجر كان يُسمع لهُ صوت رخيم فيزعمون انه يحيي بهِ أمَّهُ (Eos) إيوس اي الفجر وقد اكتشفوا سرّ ذلك الصوت بهندسة لطيفة جعلها النقاش في تركيب التمثال وترى ما عدا الكتابات الهيروغليفية المرسومة على هذين التمثالين بعض كتابات يونانيَّة نثرًا ونظمًا تُشير الى ذلك الحادث . ومن هناك رجعنا على الاعقاب الى مدينة الاقصر وتلك كانت ليلتنا الاخيرة فيها

٩ بين الاقصر واسوان

برحنا الاقصر قبل ظهر النهار الثاني وركبنا قطار الساعة العاشرة نريد اسوان فسار بنا على جناح البخار وكان تارةً يقترب من النيل فنراهُ بياهه السنجونيَّة معنا على ضفّتيه من البساتين الخضراء التي تبهج النظر وتثلج الصدر وطورًا يبتعد عنهُ فيحتجب النهر عن الابصار فلا نعود نرى اذ ذاك الّا اكمات وصحاري قفراء جدباء لا يُرى فيها ديّار ولا نافخ نار وما زال كذلك حتى بلغنا اسوان عصر النهار فدخلناها وتوجهنا ترًا الى المنزل

١٠ اسوان وآثارها

ان هذه المدينة قائمة على ضفة النيل الشرقيَّة وهي في منتهى الجمال والبهاء وعدد سكّانها لا يقلّ عن الثلاثة عشر الفًا وما كدنا نطأ ارضها الّا وذهبنا بعيَّة احد الادلَّة الى حيث المسلَّة الكبرى فاذ كناها بعد برهة من الزمان واذا هي قطعة واحدة من الحجر السمّاقي يبلغ طولها ٢٨ مترًا في عرض ثلاثة امتار ونصف المتر عند قاعدتها ومعظمها مطمور بالرمال ولا يُعلم بالتمام تاريخ هذه المسلَّة الشامخة ثم عدنا الى سهل يدعى سهل البشيريَّة نسبة الى قبيلة من السودان قد ضربت فيها خيامها . ومن غريب عوائد تلك القبيلة انَّ رجالها يرسلون شعور رؤوسهم المتشعثة الجعدة ويجعلونها بشكل جنَّة ويسيرون مكشوفي الرؤس ومنهم من يتمُّ بعنَّة بيضاء . امَّا مآكل تلك القبيلة فألبان الماعز واللحوم النيئة . ومن هناك عدنا الى المنزل وبتنا ليلتنا فيه

استيقظنا غلس يوم الاحد التالي وتوجّهنا بادئ بدء الى كنيسة دير حضرة الآباء الافريقيين حيث قمنا بالفروض الدينيّة ثم اكترينا الدوابّ قاصدين الشلّال وجزيرة فيلة فسرنا وكنّا نشاهد اثناء السير قننًا ومقالع من الحجر الناعم المنسوب الى اسوان وكان قدماء المصريين يقتلعونهُ من مناجمهِ لبناء هياكلهم ونحت تماثيلهم وترى في تلك المناجم بعض حجارة رُسمت عليها الكتابات بالقلم الهيروغليفي توذن بأنّها نُقشت من عهد مديد وقد رسمها العلّامة دي مورغان بخطوط بيضاء منوّهًا الى شأنها. ومما شاهدناهُ ايضًا في طريقنا سورٌ من الآجرّ اقامهُ هناك قراعنة المملكة الوسطى ردًّا لغارات بدو الصحراء الشرقيّة يبلغ علوُّهُ اربعة امتار وهو يمتدُّ الى الشلّال ولم نكد ننتهي من هذه المسافة حتى رأينا الشلّال وجزيرة فيلة بازائنا

١١ جزيرة فيلة وهياكلها

سمّى القدماء هذه الجزيرة « درّة مصر » لانها قائمة في كبد مياه النيل على صخور صوانيّة شفّافة فاذا ما برزت الشمس من حجابها ورشقتها بنبالها الذهبيّة انجلت عن مشهد بهيّ يسحر العيون ويخلب الالباب. اما مساحة هذه الجزيرة فتبلغ ٤٦٠ مترًا طولًا في عرض ١٥٠م وقد عبرنا اليها على زورق فادركناها ودخلنا هياكلها وجعلنا نتأمّل في آثارها وكتاباتها ورسومها واذا هي من ابدع ما شيّدتهُ ايدي الصَّنعة ولا تبرح رغمًا عن طوارئ الحدثان تفصح عمّا كان عليهِ مشيّدوها من العظمة والمجد

وقد توقّفنا من بين تلك الهياكل سلّمًا أدّى بنا الى سطح عالٍ اشرفنا منهُ على الجزيرة كلّها وضواحيها فاثر لنا اذ ذاك منظر نهر النيل الجاري بين تلك الاهاضيب والبطاح بينما كانت الريح تعصف وتهبّ والمياه تخرُّ فيسمع لخريرها حفيف لطيف يهيّج الجوارح و يصيب شغاف القلب

اما تاريخ اوّل بناء شيّد في تلك الجزيرة فيرتقي الى اقدم الازمنة الغابرة وقد اصبح اليوم اثرًا بعد عين ومن هياكلها الباقية ما بُني في منتصف القرن الرابع قبل المسيح ومنها ما يرتقي الى عهد البطالسة وهو افخر هياكل تلك الجزيرة ثم احتلّها الرومان بعد المسيح وابتنوا فيها بعض المعابد والمقاصير. وحظي مسيحيو الاعصار الاولى للكنيسة بتتصير اهل هذه الجزيرة البديعة فحوّلوا بعض معابدها الى هياكل للاله

الحق وادلّ دليل على ذلك اثار الصلبان المرسومة هناك على عدّة ابواب (راجع مقالة الاب ميشال جوليان في آثار النصرانيّة في هياكل مصر الوثنيّة في المشرق ٤ : ٣١٧)

ولمّا غزا القائد بونابرت البلاد المصريّة زحف بجيشه الى تلك الجزيرة ونقش على احد جدران ابنيتها تاريخ زحفته . ومنذ بُني خزّان اسوان الذي سيأتي الكلام عنه اخذت امواه النيل المختزنة في أيام الفيضان تتهدّد تلك الجزيرة وتآثرها بالخراب وان لم تعد مصلحة الآثار المصريّة الى وسائل فعّالة تقي تلك الهياكل من الدمار لطفت عليها المياه يوماً وتوهّنت اركانها وافقدتنا ابهى ما وُجد من الآثار المصريّة (اطلب صورة هذه الجزيرة في المشرق ٧ : ٥٥٢)

ثم زايلنا درّة مصر هذه واستأنفنا ركوب الزورق الذي كان بانتظارنا فسرنا نمخر مياه النيل قاصدين الخزّان وقد وقع بصرنا خلال السير على بعض صخور من الظران تغمرها المياه ويُرى على واحدة منها اسم الفرعون بسامتيك الثاني مرسوماً بالخط الهيروغليفي والمسافة في النيل بين جزيرة فيلة والخزان لا تتجاوز العشرين دقيقة

١٢ الخزّان (١)

بلغنا هذا السدّ العظيم المبني باصلب حجارة الصوّان والبالغ طولهُ ١٩٧٠ متراً وارتفاعه ٤٠ م وعرضه ٧ امتار فقطعناه كله على عجلة وكنّا اثناء ذلك نشخص الى الجهة التي تتفجّر منها المياه من العيون فتراها ترغي وتزبد وصداها يتردّد في ذلك الوادي وتطاراتها تتطاير متناثرةً في الجوّ وربّما شعرتَ بان طلًّا يقطر عليك فلا تلبث ان تحسّ بنفحة من البرد واذا ما ادرتَ لحاظك الى ضفّتي النيل رأيت هناك جراسق لطيفة البناء تحدق بها الحدائق الغنّاء كما تحدق الهالة بالقمر والسوار بالمعصم فيأخذ منظرها بمجامع الصدور وتبتسم لهُ الثغور

١٣ ـ جزيرة اليفنتين

ثم عطفنا على ادراجنا راجعين الى اسوان حيث تناولنا الطعام واخذنا نصيباً من الراحة ثم ركبنا زورقاً شراعيًّا قصد ترويح النفس في مياه النيل فسار بنا يشقّ عباب المياه على شكل نصف حلقة الى ان بلغنا جزيرة اليفنتين فصعدنا اليها وطفنا اوّلًا في رياضها

(١) اطلب في المشرق (٦ : ١ و٦٧) مقالة مستوفية في وصف اسداد النيل وخزّان اسوان لحضرة الاب دي فراجيل اليسوعي

الفيحاء ثم عمدنا الى زيارة مقياسها للنيل الذي يُنحدَر اليه من درج وعلى جدرانه كتابات يونانية اتلف مُعظَمها اهل الدول الفاتحة ايام دخول تلك الجهات في حوزتهم

امَّا الخطوط المرسومة ثمَّة لمعرفة ارتفاع المياه وهبوطها فهي بصورة اذرع يونانية ولقد مرَّ على هذا القياس عدة قرون حتى كاد الدهر يتلفهُ فاعاده الى رونقه محمود بك في عهد الخديوي اسماعيل باشا كما تشهد على ذلك الكتابات الفرنسوية والعربية المنقوشة هناك

وفي تلك الجزيرة بعض الآثار والاخربة والكتابات لم يسمح لنا الوقت بمشاهدتها لتسريح النظر في نقوشها. ونيا قد اكتُشفت تلك الكتابات الآرامية العجيبة التي وصفها المشرق (١١ : ٥١١ و١١٨) المنبئة باحوال بني اسرائيل في مصر على عهد ملوك الفرس والمؤيدة للاسفار المقدَّسة. والحقُّ يقال انَّ كل الاكتشافات الحديثة في مصر قد اتت في عهدنا منتصرةً للوحي فانَّ فيها ما يذلّل العقاب ويمهد السبيل لفهم تاريخ شعب الله الذي اقام في ارض الفراعنة نيف واربعة قرون كما جاء في الكتاب العزيز : وكان مقام بني اسرائيل الذي اقاموه بمصر « اربعمائة وثلاثين سنة » (خروج ١٢ : ٤٠)

والبرامكة الرشيد

رواية تاريخية نثرية ذات خمسة فصول يتخللها شعر قديم

بقلم الاب انطون رباط اليسوعي (تابع الفصل الثاني)

المشهد الخامس

الرشيد . جعفر . الفضل

[جعفر ان راق ياعين امير المؤمنين حدثتهُ يامر ظريف

الرشيد هات

جعفر جلست امس للشراب مع ندماء آنسُ بهم ولبسنا الثياب المصبغة كعادتنا وامرت خادمي ياسر ألّا يأذن إلّا لعبد الملك بن صالح المسامر. فلمَّا دارت